

تفسير البحر المحيط

@ 38 الحمقاء . و { مِنْ فِرْعَوْنَ } : بدل { مِّنَ الْعَذَابِ } ، على حذف مضاف ، أي من عذاب فرعون . أولاً حذف جعل فرعون نفسه هو العذاب مبالغة . وقيل : يتعلق بمحذوف ، أي كائناً وصادراً من فرعون . وقرأ ابن عباس : { مِنْ فِرْعَوْنَ } ، من : استفهام مبتدأ ، وفرعون خبره . لما وصف فرعون بالشدة والفظاعة قال : من فرعون ؟ على معنى : هل تعرفونه من هو في عتوه وشيطنته ؟ ثم عرف حاله في ذلك بقوله : { إِنَّ زَنْهَهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ } : أي مرتفعاً على العالم ، أو متكبراً مسرفاً من المسرفين . { وَلَقَدْ اخْتَارْتَنَاهُمْ } : أي اصطفيناهم وشرفناهم . { عَلَايَ عِلْمٍ } علم مصدر لم يذكر فاعله ، فقيل : على علم منهم ، وفضل فيهم ، فاخترناهم للنبوات والرسالات . وقيل : على علم منا ، أي عالمين بمكان الخيرة ، وبأنهم أحقاء بأن يختاروا . وقيل : على علم منا بما يصدر من العدل والإحسان والعلم والإيمان ، بأنهم يزيفون ، وتفطر منهم الهنات في بعض الأموال . وقيل : اخترناهم بهذا الإنجاء وهذه النعم على سابق علم لنا فيهم ، وخصناهم بذلك دون العالم . { عَلَايَ الْعَالَمِينَ } : أي عالمي زمانهم ، لأن أمة محمد صلى الله عليه وسلم) مفضلة عليهم . وقيل : على العالمين عام لكثرة الأنبياء فيهم ، وهذا خاص بهم ليس لغيرهم . وكان الاختيار من هذه الجهة ، لأن أمة محمد أفضل . وعلى ، في قوله : { عَلَايَ عِلْمٍ } ، ليس معناها معنى على في قوله : { عَلَايَ الْعَالَمِينَ } ، ولذلك تعلقا بفعل واحد لما اختلف المدلول ، كقوله : % (ويوماً على ظهر الكتيب تعذرت % . عليّ وآلت حلفة لم يحلل .) % .

فعلى علم : حال ، إما من الفاعل ، أو من المفعول . وعلى ظهر : حال من الفاعل في تعذرت ، والعامل في ذي الحال . { وَءَاتَيْنَاهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ } : أي المعجزات الظاهرة في قوم فرعون ، وما ابتلوا به ؛ وفي بني إسرائيل مما أنعم به عليهم من تظليل الغمام والمن والسلوى ، وغير ذلك مما لم يظهرها لغيرهم . { مَا فِيهِ بَلَاؤٌ } : أي اختبار بالنعم ظاهر ، أو الابتلاء بالنعم كقوله : { وَزَيَّلْنَاكُمْ بَالِشَّرِّ وَالْخَيْرِ } . { إِنَّ هَؤُلَاءِ } : يعني قريشاً ، وفي اسم الإشارة تحقير لهم . { لَيَقُولُنَّ * إِنَّ هِيَ إِلَّا لَّامَوْتٌ تَتَذُنَّا الْوَلَى } : أي ما الموتة إلا محصورة في موتنا الأولى . وكان قد قال تعالى : { وَكُنْتُمْ أََمْْوَآتًا فَأَنْحٰذِكُمْ ثُمَّ يُمْرِتُكُم ثُمَّ } .

يُحْيِيكُمْ } ، فذكر موتتين ، أولى وثانية ، فأنكروا هم أن يكون لهم موة ثانية .
والمعنى : ما آخر أمرنا ومنتهى وجودنا إلا عند موتتنا . فيتضمن قولهم هذا إنكار البعث ،
ثم صرحوا بما تضمنه قولهم ، فقالوا : { وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ } : أي بمبعوثين
بحياة دائمة يقع فيها حساب وثواب وعقاب ؛ وكان قولهم ذلك في معنى قولهم : { إِنْ هِيَ
إِلَّا سَحَابَاتٌ تُنْزِلُ دُخَانٌ وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ } . .

{ فَأَوْتُوا بِئْسَ بَأْسًا } : خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم) ، وللمؤمنين الذين
كانوا يعدونهم بالبعث ، أي إن صدقتم فيما تقولون ، فأحيوا لنا من مات من أبنائنا ،
بسؤالكم ربكم ، حتى يكون ذلك دليلاً على البعث في الآخرة . قيل : طلبوا من الرسول أن
يدعوا الله فيحيى لهم قصي بن كلاب ، ليشاوروه في صحة النبوة والبعث ، إذ كان كبيرهم
ومشاورهم في النوازل . { أَهْمُ } : أي قريش ، { خَيْرُ أُمَّةٍ قَوْمٌ تُبَدِّعُ } ؟
الظاهر أن تبعاً هو شخص معروف ، وقع التفاضل بين قومه وقوم الرسول عليه الصلاة والسلام .
وإن كان لفظ تبع يطلق على كل من ملك العرب ، كما يطلق كسرى على من ملك الفرس ، وقصر
على من ملك الروم ؛ قيل : واسمه أسعد الحميري ، وكنى أبا كرب ؛ وذكر أبو حاتم الرياشي
أنه آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم) قبل أن يبعث بسبعمئة سنة . وروي أنه لما آمن
بالمدينة ، كتب كتاباً ونظم شعراً . أما الشعر فهو : % (شهدت على أحمد أنه % .
رسول من الله باري النسم .

. %)

% (فلو مد عمري إلى عمره % .

لكنت وزيراً له وابن عم .

. %)

.

وأما الكتاب ، فروى ابن اسحاق وغيره أنه كان فيه : أما بعد : فإني آمنت بك ،
وبكتابك الذي أنزل عليك ، وأنا على